بركات الألم

بقلم

أنور داود

٢٠١١

بركات الألم

بقلم: **أنور داود**
مراجعة: د نبيل عجيب- د. فرنسيس فخري
تصميم الغلاف: جيهان عائيد
كومبيوتر وإعداد فني: صفوت نظير
يطلب من: مكتبة الإخوة ٣ ش أنجه هانم – شبرا مصر ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤
وفروعها:
مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي – تريومف – ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣
الإسكندرية: ٦ ش الفسطاط كيلوباترا ت: ٥٤٦٥٣٦٦
المنيا: ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦
أسيوط: ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

الترقيم الدولي: ٥- ٢٤٦- ٣٢١- ٩٧٧ -٩٧٨

مقدمة

هل حقيقة يريد الله لنا أن لا نتألم؟ وإن كان فعلاً هكذا فلماذا يتألم كثيرون في هذه الأيام؟ لماذا يسمح الله بالألم؟ وإذا كان الله صالحًا وحنانًا، وهو فعلا` كذلك، فلماذا تبدو الحياة مأساوية أحيانا؟ أ ليس هو المسيطر على كل شئ؟ هل فقد سيطرته؟ أم أنه يسيطر ولكنه نسينا أو لايهتم بأمورنا حيث يسكن الأعالى بعيدًا عنا ولا يشعر بنا، أم أنه غاضب علينا؟ كل هذه الأسئلة وغيرها تدور في ذهن المتألمين.

ورغم أن كثيرين من الأفاضل كتبوا في هذا المجال، لكن ربما ما قادني له روح الله يضيف ولو القليل، فتكون هذه الكلمات بلسانًا للمجروحين والمرضي والمحرومين والمتروكين، فندرك أنه لا بد وأن يكون للألم غرضًا ساميًا في قلب الله. إنه يريدنا أن نكون أكثر قُربًا منه، وأكثر تشبُّهًا به. أ ليس هو المتألم الأعظم الذى تألم فى كل شئ بلا خطية؟ وإن لم يحقق الله غرضه فينا من وراء الألم فلن نجني من الألم سوى ناره وآلامه، وربما نتعرض لإطالة فترة الألم أو تكراره

ليحقق الله غرضه.

ستجد عزيزي القارئ في هذا الكتيب بركات كثيرة من وراء الألم وهي: كيف تنمو علاقتنا مع الرب وكيف ننضج ونثمر وكيف نتمتع بالنضارة الروحية حتى في أشد الظروف قسوة من خلال الشركة مع الرب. وسوف نلمس كيف يختلف رد فعل مؤمن عن آخر خلال التجربة، إننا نرى الرب ونلمس أيضًا كذلك كفايته لنا نحن المؤمنين فى وسط الظروف المؤلمة (تك٤٩: ٢٤؛ ٢كو١٢:٨ و٩). وكذلك المنافذ الكثيرة وسط الألم فهو مع التجربة يُعطي المنفذ (١كو١٠:١٣). كذلك سوف نرى عزيزي المتألم أن الرب قد وضع للألم حدودًا وتوقيتًا دقيقًا؛ هذا بالإضافة الى منافذ ومعونات خاصة لاحتمال الألم. ولا يفوتني بالطبع الإشارة لأروع ردود أفعال لأعظم شخص تألم على الأرض وهو شخص الرب يسوع الذي ترك لنا مثالاً لكي نتبع خطواته. وفي ختام جولتنا السريعة ستقرأ قصص مُعبِّرة عن الفوائد التي نجتنيها من خلال الألم.

أتركك مع هذا الكتيب الصغير الحجم، مُصلِّيًا لأجلك لكي يُعطيك الرب الثمر الكثير في أرض مذلَّتك.

أنور داود

المحتويات

١	بركات الألم.	٧
٢	ثمر المذلة.	٢٣
٣	ورقها لا يذبل	٣٣
٤	ظروف متشابهة وردود أفعال متباينة	٣٧
٥	كُفوا عن الإنسان.	٤١
٦	معونتي من عند الرب	٤٧
٧	يُعين المُجربين.	٥١
٨	ينصفهم سريعًا	٥٥
٩	المثال الكامل	٥٩
	***	
	قصص ذات مغزى:	
(أ)	الله يحفر لنا آبار السعادة بفأس الألم.	٦٧
(ب)	صورته فيك	٦٩
(ج)	الكوخ المُحترق	٧١
(د)	أيهما أنت؟	٧٥
(هـ)	كيف تتكون اللؤلؤة؟	٧٧

١

بركات الألم

توجد أربعة أنواع للألم وهي:

أولاً: آلام الزمان الحاضر: «**فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا**» (رو٨:١٨). هذه الآلام مرتبطة بالزمان الحاضر بسبب وجود الخطية في العالم التي أثَّرت على كل الخليقة، ونحن جزء من هذه الخليقة «فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معًا»، مع أن لنا باكورة الروح لكننا «نئن في أنفسنا، متوقعين التبنِّي فداء أجسادنا» (رو٨:٢٣) فلأن أجسادنا من لحم ودم فهي عُرضة للأمراض مثلها مثل سائر الأجساد.

ثانيًا: آلام نتيجة أخطائنا الشخصية: «**لا تضلوا! الله لا**

يُشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إيَّاهُ يحصد أيضًا» (غلا٦:٧). وهذه الآلام ليست هي التي نتمناها في حياتنا، لأننا من خلالها ندفع ثمن أخطائنا الشخصية. والمثال لذلك نراه في حياة يعقوب الذي سلك طريق الاتكال على الجسد وعلى الحكمة البشرية ... طريق الغش والخداع والكذب والدهاء؛ لكن هذا الطريق أدى به إلى حصاد مرير لسنوات طويلة.

وعلى ذات القياس آلام إبراهيم في مصر وآلام داود كحصاد لزرع زرعه، وعن هذا النوع من الألم قدَّم الرسول بطرس النصيحة بالروح القدس: «لا يتألم أحدكم كقاتلٍ، أو سارقٍ، أو فاعل شر، أو متداخل في أمور غيره» (١بط٤: ١٥).

ثالثًا: آلام لأجل البر: مثلما تألم الرب يسوع بسبب بِرّه وتقواه وشهادته الأمينة ضد العالم الفاسد الشرير، هكذا يتألم تابعيه.

رابعًا: آلام في مدرسة التدريبات والمعاملات الإلهية: وهذا النوع هو موضوع البحث، إنه أرقى أنواع الألم التي يجيزنا الرب فيها كمؤمنين.

✍ لكن لماذا يسمح الله لأولاده الأحباء بالألم؟

- هل يمكن أن تتعرَّض حياتي للألم بينما أنا ملتزم؟
- هل كوني ابن لله يعفيني من أن أختبر الألم؟
- وهل محبة الله تعني أن تخلو حياتي من المتاعب والمنغصات؟

لا يقول الكتاب ذلك على الإطلاق. ففي يوحنا١١:٤ عندما أُخبر الرب بمرض لعازر قال: «هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجَّد ابن الله به». أربع مرات نقرأ أن الرب كان يحب هذه الأسرة، ويحب لعازر (يو١١:٣ و٥ و١١ و٣٦)، فلماذا يا رب تسمح للمحبوب أن يمرض ويشتد مرضه ويموت ويُدفَن ويظل في القبر أربعة أيام حتى ينتن؟ لماذا يا رب تسمح بتجربة ثقيلة لأحبائك؟

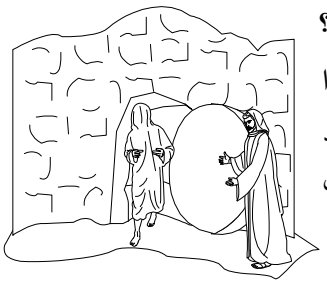

كانت هذه الأسرة غالية جدًا ولا نقرأ عن مثيلها في كل العهد الجديد، ومع ذلك فقد تعرضت لأزمة كبيرة وتجربة ثقيلة.

ربما يسمح الله بالألم ونحن في مشيئته، ونصنع الخير، ونسلك بالتدقيق والأمانة والانضباط.

فلماذا؟!

ولكي نجيب على هذا السؤال نعرض بعض الأسباب:

١- **ليتمجَّد الله أمام عيوننا:** لأنه من خلال الألم نعرف صفاته أكثر، ونشعر بوجوده معنا ... بمحبته لنا ... بقدرته التي تُخلِّص وتؤازر وترفع المؤمن المُنسحق في التجربة. يظل إيماننا نظريًا إلى أن نتألم حينئذ نختبر ما قاله أيوب: «بسمع الأذن قد سمعت عنك، والآن رأتك عيني» (أي٤٢: ٥) وكأنه يقول قبل هذه التجارب كانوا يقولون لي عنك، أما الآن فلقد سمعتك مباشرة، «النازلون إلى البحر في السفن ... هم رأوا أعمال الرب وعجائبه في العمق» (مز١٠٧:٢٣ و٢٤). إننا لا نعرف الله ولا نعرف قلبه ومحبته ولا نرى قدرته وحكمته وقربه منا إلا عندما نجتاز في تجارب ثم يُخرجنا الرب إلى رحب لا حصر فيه؛ «يقودك من وجه الضيق إلى رحبٍ لا حصر فيه» (أي ٣٦: ١٦).

٢- **للتنقية: «يوسف ... غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط»** (تك٤٩:٢٢)، «وكل ما يأتي بثمر يُنقِّيه (الكرَّام) ليأتي بثمر أكثر» (يو١٥:٢)،

هذا ما يفعله الكرَّام مع الأغصان، وهكذا يفعل الآب الحكيم معنا كمؤمنين إذ يُنقينا من كل الشوائب بمعاملات إلهية – قد تكون مؤلمة – لنخرج بلمعان أروع: «لأنه يعرف طريقي. إذا جرَّبني أخرج كالذهب» (أي٢٣: ١٠)، «فيجلس مُمحِّصًا ومُنقِّيًا للفضة» (ملا ٣: ٣).

إن الآب حريص جدًا أن تظهر فينا حياة ابنه، ولأجل هذا يلاحظ حالتنا يومًا فيومًا، وعندما يرى شيئًا يحتاج إلى تنقية فهو يتدخل دون أخذ رأي المؤمن ويفعل ما يراه مناسبًا.

والتنقية تشبه التذرية؛ وهي عملية فصل التبن عن الحنطة. والمؤمن والمؤمنة عبارة عن حنطة، والحنطة نتاج عمل نعمة الله وما ينتجه الروح القدس من ثمار مباركة فينا. ولكن لا يخلو من التبن بنسب مختلفة، والتبن هو أعمال الجسد التي تشوب وتُعطّل عمل الروح القدس. والرب حريص أن ينقينا، فيعزل التبن لكي لا تبقى سوى الحنطة.

٣- **للنضوج الروحي:** نحن نظل أطفالاً إلى أن ندخل في مدرسة التدريبات والمعاملات الإلهية حتى لو بدت مؤلمة، فهي إحدى الوسائل الفعالة التي بها ننمو روحيًا ونصل إلى النضوج الروحي. «احسبوه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون

في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبرًا ... لكي تكونوا تامين وكاملين (أي ناضجين النضج الكامل) غير ناقصين في شيء» (يع١: ٢ -٤).

* وهذ يتضح في حياة يعقوب كمثال، الذي في نهاية حياته كان قد بلغ نضوجًا وتمييزًا وبصيرة روحية فاقت على كل الذين كانوا قبله وبعده. هذه الحياة التي اجتازت في تدريبات وتقلّبات كثيرة جدًا، وتعرَّضت لجرعات ثقيلة من الآلام، أنتجت أخيرًا نضوجًا روحيًا رائعًا.

فالذي يرى يعقوب في نهاية حياته لا يُصدِّق أن هذا هو يعقوب الذى بدأ حياته انتهازيًا واستغلاليًا ومُخادعًا.

* ونفس الشيء نراه في داود؛ فإنه وصل إلى نضوج وبصيرة روحية وتقدير لأمور الله بشكل متميِّز نتيجة أنه عانى

كثيرًا في سنوات حياته من الملك شـــاول واضـــطهاده لـــه. فالضيق أنشأ فيه معرفة اختباريَّة بالله، وكتب أحلى المزاميـــر وهو مطرود ومكتئب ومنحني؛ إذ يقول في مزمور٤: ١ «عند دعائي استجب لي يا إله برِّي. في الـــضيق رحَّبـــت لـــي». فالطاقة الروحية تتسع عندما يتعرض المؤمن للضيقات: «خيرٌ لي أني تذلَّلت لكي أتعلَّم فرائضك» (مز١١٩:٧١) عـــرف أن يستفيد من هذه الفترات الصعبة، واكتسب حـــساسية روحيـــة عالية وهو تحت التدريبات في وسط الضيق.

* عكس ذلك كان سليمان الذي نشأ ملكًا بل وكمـــا يقـــول المثل – وُلِدَ وفى فمه ملعقة من ذهب – ولم يجتَز في ظروف صعبة وتقلبات كثيرة. فكان من السهل جدًا أن يتحول عـــن الرب الذي ظهر له وحباه حكمة سامية، إلى إغراءات العالم، وأمام رغبات زوجاته الكثيرات، عمل مذابحا للبعل إرضـــاءً لهن.

إذًا فالتدريبات تجعلنا نعرف الرب أكثر، وندخل إلى العمق، ونخافه ونحترمه في حياتنا.

«كما يُحرِّك النسر عشه وعلى فراخه يرفُّ، ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه» (تث٣٢: ١١). **إن** الغـــرض

من هذه التدريبات للفراخ أن ينضجوا ويعتمدوا على أنفسهم، ويتحرروا من حالة الطفولة، فالنسر كما نعلم ملك الطيور ويضع عشه في أعلى قمة جبل، وهو من الطيور الحانية جدًا على صغارها، وعندما يرى فراخه قد كبرت وأصبح لهم ريش يمكنهم من الطيران، وفي يوم ما بعد أن يطعم صغاره ويلعب معها، يضرب العش بجناحيه القويين فيقع الصغار من العش، وكأن الصغار تقول لبعضها البعض: لماذا يفعل أبونا معنا هكذا؟ أ لم يعد يحبنا كما فى الأيام الأولى حين كنا صغارًا؟ وربما يقول واحد منهم: هذا الأب قاسي القلب كيف يفعل هكذا بأولاده وهم لا يعرفون الطيران؟ ويقول الصغير الآخر لقد ضعنا وهلكنا ... ويحاولون أن يحركوا أجنحتهم وقبل أن يصلوا إلى الأرض يأتي الأب من تحتهم ويُبسط جناحية العريضتين القويتين حاملاً إيَّاهم ليعيدهم مرة أخرى إلى العش، وعندما يُرجعهم يرفع النسر الصغير عينيه المليئة بالدموع وينظر إلى أبيه وداخله تساؤلات كثيرة، وينظر الأب إلى ابنه وعيناه مليئتان بالحنان وكأنه يقول لصغيره لست تفهم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد، ويرجع يطعم صغاره ويلعب معهم مرة أخرى. ثم لا يلبس أن يرجع ليحرّك العش

مرة أخرى، ويحاول الصغار أن يحركوا كل واحد جناحيــة، وتتكرر هذه العملية إلى أن يتعلَّموا الطيــران، عندئــذ فقــط يفهمون معاملات الأب ويرجعون إليه شاكرين لأنــه حــرَّك العش، عزيزي المتألم إن في تحريك العُش خير لك!!

٣- **للتشكيل: «لأنك جرَّبتنا يا الله. مَحصتنا كمَحص الفضة ... جعلت ضغطًا على متوننا. ركَّبت أُناسًا على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء، ثم أخرجتنا إلى الخصب»** (مز ٦٦: ١٠- ١٢). في أثناء صناعة الحديد والصلب يُقال إنهم يعالجون الحديد بدرجات حرارة عالية جدًا في النار، ثم يضعونه في درجات حرارة منخفضة جدًا. هذه المتغيرات تُكسب المعدن شيئين هامين جدًا؛ هما المرونة والصلابة. وكذلك المؤمن مع التقلبات عندما تأتي عليه أيام صعبة جدًا تجعله ينضغط، وتأتي أوقات أخرى يكون في رحب. هذه التقلبات تُكسبه قدرًا عاليًا من المرونة والصلابة. المرونة أن يتعايش مع الظروف المختلفة دون الكلل أو الخوار، والصلابة أن يصمد أمام الصدمات الكبيرة حتى إذا تعرَّض لتجربة مفاجئة لا ينكسر (دا٢: ٤٨ ؛ دا ١٦:٨ و٢٦).

٤- **لكي يحفظنا الرب في روح متضعة:** كثيرًا ما يكون

بداخلنا ميل للارتفاع والكبرياء والاعتداد بالذات لكن الرب أحياناً يقصد أن يُفرّغنا من الذات ويحفظنا متضعين. بولس كمثال – عندما اختُطف إلى السماء الثالثة – سجل اختباره قائلاً: «لئلا أرتفع بفرط الإعلانات، أُعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني» (٢كو١٢:٧). لم يكن قد ارتفع لكن احتمالات أن يرتفع شيء وارد، فلهذا أعطاه الرب هذه الشوكة لتحفظه من الكبرياء.

٥- **ليفطم المؤمن عن الأحلام الأرضية والآمال العالمية:** نحن شركاء الدعوة السماوية ويريدنا الرب أن نسير هنا على الأرض في الطريق الضيق لكي يكون لنا اهتمامات وطموحات روحية ليتعظَّم المسيح في حياتنا، ولكي نصل إلى حالة القناعة والشكر والتعايش مع أي وضع في هذا الزمان، يسمح لنا الرب بالدخول في تجارب تفطمنا عن الأحلام الأرضية والآمال العالمية.

التلاميذ كمثال عندما ألزمهم الرب بالدخول في السفينة، وهاج الريح والبحر عليهم كان هذا لكي يفطمهم عن أحلام المُلك؛ لأنهم كما يقول الكتاب في انجيل يوحنا الأصحاح السادس إن بعد معجزة إشباع الجموع أرادوا أن يختطفوه لكي

يجعلوه ملكًا والتلاميذ كانوا مُرحبين جدًا بالفكرة وكانت تداعب خيالهم أحلام المُلك، والرب رأى فيهم هذا وشعر بالخطر على حالتهم في هذا التوقيت بالذات حيث لم يأتِ وقت المُلك فألزمهم بالدخول في السفينة. وفي السفينة تُختزل الأحلام والآمال وكل واحد فيهم يرضى بالقليل ويترجى مراحم الرب. ليس معنى هذا أن المُلك ليس حقيقة أو أن الرب ضد طموحاتنا، لكن لكل شيء تحت السماوات وقت (جا٣: ١).

وأحيانًا يرى الرب خطرًا على حياتنا من هذه التوجهات التي تجنح بنا بعيدًا عن سمات طريق الدعوة السماوية. ولكى يحتفظ بنا في المسار الصحيح كشهود أمناء له في هذا العالم، فإنه يجيزنا فى هذه التدريبات التى تصل بنا إلى قول بولس: «فإني قد تعلَّمت أن أكون مكتفيًا بما أنا فيه. أعرف أن أتضع وأعرف أيضًا أن أستفضل. في كل شيءٍ وفي جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع ... أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقويني» (في٤: ١١- ١٣).

٦- **لنتعلَّم الصلاة والتعلق بالرب:** يُرسل الرب أحيانًا تجارب عندما يشعر أن المؤمن تائه في العالم ويهتم ويضطرب لأجل أمور كثيرة. فيسمح له بضيق يجعله يرتمي

عليه ويتعلق به وعينه مرفوعة إليه ويترجى دائمًا رحمته في هذا الأمر. إن أروع وأعمق صلاة تكون في وقت الضغوط والمحن. حيث يلجأ إلى الرب صارخاً لكي ينقذه. «فيصرخون إلى الرب في ضيقهم، ومن شدائدهم يُخلّصهم» (مز١٠٧:٢٧). إنها بركة عظيمة جدًا إذ أن الضيق ينشئ فيَّ إنساناً مسكيناً بالروح يتمسَّك بالرب ويتعلق به كملاذه وأمله الوحيد.

* **وحنَّة** كمثال، فبالرغم من أنها كانت محرومة من الأبناء، وكانت ضُرتها تغيظها غيظًا لأجل المراغمة (١صم١: ٦)، إلا أنها تحت هذه الضغوط كانت تصلِّي وتسكب نفسها أمام الرب، لم تشكُ يومًا لرجلها بل سكبت شكواها أمام الرب. هل نتعلَّم ذلك في حياتنا؟

* وفى «**رفقة**» مثال آخر على ذلك، فعندما مَنَــع عنهــا الرب ثمرة البطن، وهذه واحدة من التجارب الصعبة في ضوء العهد القديم، لم تصلِ للرب لأجل هذا الأمر حتى بعد أن طالت فترة الانتظار عشرين سنة. صلَّى لأجلها «إسحاق» زوجهــا واستجاب الرب له الرب، فاضطر الرب أن يسمح لها بتجربة مؤلمة عندما تزاحم الولدان في بطنهــا فــشعرت أن حياتهــا قاربت على الانتهاء وقالت: «إن كان هكذا فلماذا أنا؟ عندئــذ

فقط مضت لتسأل الرب» (تك٢٥:٢٢).

* وذات الأمر نجده في حياة حزقيَّا الذي كان ينمو في حياة الصلاة، هو لم يكن من البداية رجل صلاة وفي أول امتحان له فشل فشلاً ذريعًا حيث قدَّم ذهبًا لملك أشور القادم للقائه لكي يتحول عنه وتحقق هدفه، لكن بعد فترة قليلة رجع إليه ملك أشور مرة أخرى فأرسل حزقيَّا لإشعياء رسالة يحثه من خلالها على الصلاة لأجله بالقول: «الأجنَّة قد دنت إلى المَوْلِد ولا قوةً على الولادة»، وصلَّى إشعياء والرب أجاب إشعياء أن ملك أشور سيسمع أخبارًا ويرجع إلى أرضه، والرب فعلاً أسمع ملك أشور أخبارًا من خلالها رجع لبلاده وقبل أن يرجع لبلاده أرسل رسائل بلغه الشعب من خلالها يهدده، فارتقى مستوى حزقيا في الصلاة في هذه المرة فنشر الرسائل أمام الرب وصلَّى ليمجِّد الرب اسمه (٢مل١٨و ١٩).

لكنه نما في حياة الصلاة أكثر عندما أرسل له الرب إشعياء قائلاً: «أَوْصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش» فهذه المشكلة لم يكن من الممكن حلها بالفضة أو المؤمنين ليشاركوه الصلاة فقدَّم الصلاة للرب، وكم كانت صلاته عميقة وهو يوجِّه وجهه للحائط ويصلِّي (٢مل٢٠: ١-٧).

إن لم ننمو في الصلاة بالشركة والحب للرب فـــإن للـــرب طرقه التي بها يعلِّمنا هذا.

٧- **لكي نُقدّر البركات الروحية الممنوحة لنا:** يجب علينا أن نُقدِّر روعة الشركة والتعويضات الإلهية وكفاية الرب لنا وليس فقط عطاياه. نحن نركض إلى عطايا الرب ونفرح بها، لكن يريد الرب أن يُعلِّمنا درسًا هو أن نكون فرحين ومُكتفين به وليس فقط بعطاياه. حتى لو حرمنا من بعض الأشياء، يظل هو فيه كل الكفاية لنا. وهذا كان اختبار حبقوق: «فمع أنه لا يزهر التين، ولا يكون حملٌ في الكروم. يكذب عمل الزيتونة، والحقول لا تصنع طعامًا. ينقطع الغنم من الحظيرة، ولا بقر في المذاود، فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي» (حب٣:١٧و١٨). وكذلك اختبار ليئة (تك ٢٩: ٣١- ٥٣).

٨- **ليصبح المؤمن أكثر شبهًا بالمسيح:** هذا ما يعمله الفخاري الأعظم. فهو يُجمِّل فينا ويترك بصماته علينا فنتغيَّر شيئًا فشيئًا إلى الأفضل. فالشخص المتهاون في حياته يتعلَّم درس القداسة كيف يخاف الرب ويُقدِّره ويهابه؛ وذلك بعد تجربة يجتاز فيها تحفر فيه هذا الدرس. والشخص الذي كان قاسيًا ومتشددًا وعنيفًا يصبح مترفقًا وعطوفًا على الآخرين.

والشخص الأناني العالمي المُعاند المُعتد بذاته يتغيَّر ويصير شخصًا معطاءً وسماويًا وطائعًا وخاضعًا لمعاملات الله ومتواضعًا يخدم بروح متضعة جدًا.

٩- **ليكون رجاء مجيء المسيح أمامنا:** إذا كانت حياتنا سهلة خالية من المنغصات فإننا لا نفكر في الرجاء أو نتوق إلى مجيء الرب، لكن المنغصات والكدر والمتاعب تخلع قلوبنا من هنا العالم ونقول: «آمينَ. تعال أيها الرب يسوع». وكلما نتضايق أكثر كلما نتعلَّق بالرجاء أكثر. والمُسكِّن الوحيد لكل الآلام والتجارب هو أن «الرب قريب». (رو ٨:١٨؛ ٢كو٤:١٧؛ عب ١٠:٣٦ و٣٧).

ليتنا لا نخور تحت المعاملات الإلهية الضاغطة بل نفرح في تجاربنا «احسبوه كل فرحٍ يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعةٍ» (يع١: ٢). فكما نشكر في المعاملات الرقيقة واللمساتِ الحانية، نشكره أيضًا إذا ضغطت يده علينا ونقبل هذه اليد الرحيمة حتى عندما تضغط علينا.

ليتنا نحتمل التجربة لأنه «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكَّى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع١: ١٢). فالله يُرسل التجارب لا لكي نرثي

لأنفسنا أو يذلنا أو نتذمر ونئن من ثقلها بل يُرســـلها لنتـــدرب ونتعلَّم، فليتنا نصبر تحت معاملات الرب لنعطي له الفرصـــة ليكمل غرضه فينا بدلاً من تكرار الدرس مرة ومرات.

(مقال يحتوي على بعض أفكار من عظة لخادم الرب/ محب نصيف)

***

٢

ثمر المذلة

«الله جعلني مُثمرًا في أرض مذلَّتي»
(تك ٤١:٥٢).

يُعتبر يوسف من أكثر الشخصيات التي نالت قسطًا أكبر من الآلام ودخل معاملات إذلال كثيرة فكان ينتقل في مدرسة الألم من مرحلة لمرحلة أصعب (تك٣٧ و ٣٩-١٤:٤١) دون ذنب اقترفه أو تقصير قصره، فلا مجال لملامة النفس وهو يتألم حتى أن يعقوب أباه ربما كان يلوم نفسه ظنًا منه أنه أخطأ بإرسال ابنه في مهمة أنهت حياته – حسبما وصل لمعرفته وقتها – لكن لا ننسى أنه لم يكن ليعقوب أو ليوسف يد في مشوار الألم هذا.

هذه المعاملات المُذلَّة أخرجت لنا يوسف كرمز من أروع الرموز لربنا يسوع المسيح سواء فى رفضه وآلامه أو فى ملكه وأمجاده، كما أخرجت لنا يوسف رمز الطهارة الذى يتعلَّم منه الكبار والصغار، ومن منا صغارًا أو كبارًا لم يتعلَّم من قصة يوسف فى صغره أو كبره؟!! وأيضًا يوسف الذي يصلح لأعظم مهمة في وقتها وهي حفظ الأرض من المجاعة. نتجاسر ونقول إن يوسف المُدلَّل في بيت أبيه ما كان يصلُح لهذه المهمة.

هذه المعاملات جعلته مثمرًا في أرض المذلَّة، ومن خلال كلمة الله نرى بعض ثمار المذلَّة التي للمؤمن من خلال الألم:

١- **يُذلِّك ويُجربك ليعرف ما في قلبك (تث٨: ٢):** الرب من البداية يعرف ما في قلوبنا من ضعف، لكن يريد أن يظهره على السطح فيدرك المؤمن ضعفه وهشاشته فيتضع في عيني نفسه.

٢- **أذلَّك وأجاعك ليطعمك المَنْ (تث٨: ٣):** والمَنْ يشير للمسيح المتضع، فعندما نتألم من خلال الألم نتغذَّى على المسيح وذلك بالتأمل في المواقف التي مر بها

على الأرض وكانت شبيهه بمواقفنا وماذا كان رد فعله فنتعلَّمه.

٣- **يذلِّك ويُجرِّبك ليُحسن إليك في آخرتك (تـث٨: ١٦):** فالمؤمن يدخل التجربة بوضع ويخرج منهـا بـشكل مُختلف. وهذا ما نستطيع أن نستنتجه من تجربة عائلة بيت عنيا من مقارنة حالة لعازر ومرثا ومـريم قبـل التجربة (لو١٠: ٣٨-٤٢) وبعـدها (يـو١٢: ١-٨). فقبل التجربة **لعازر** لم يكن بالمنزل مع أن الرب كـان ضيفهم، لكن بعد التجربة كان لعازر أحد المتكئين مع يسوع؛ وفي هذا نرى أن تقدير المؤمن للاجتماعـات الروحية من حول الرب يزداد بعدما يُـدرك المـؤمن عظمة شخص الرب ويختبره شخـصيًا مـن خـلال التجربة، و**مرثا** في لوقا ١٠ كانـت تخـدم بارتبـاك وتذمُّر، خدمة فيها مَلامة للرب ولأختها ولهذا الـسبب وبَّخها الرب، وبعد التجربة صارت تخدم فـي هـدوء وبدون تذمُّر، أما **مريم** والتى كان لها المكان المحبـب لقلب الرب ولقلبها قبل التجربة، بل وفى أثناء التجربة حيث خرَّت عند قدميه، حتى وإن كانت باكية، لكنهـا

بعد التجربة أدركت سمو شخصه أكثر، وأنه القيامة والحياة، وازدادت نضجًا وعمقًا روحيًا فقدَّمت له الثمين والغالي الذى لم تقدِّمه لأخيها يوم موته، قارورة طيب خالص كثيرة الثمن فانعشت الرب بل وكل من كان فى البيت حيث امتلأ البيت من رائحة الطيب، إنه السجود فى أروع معانيه.

٤- **تفريغنا من أنفسنا:** «لكن كان لنا في أنفسنا حُكم الموت، لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يُقيم الأموات» (٢كو ١:٩). فقد نظن خطأ قبل التجربة أننا شيء لكن بعد التجربة ندرك أننا لا شيء، عندما نصل لحالة فيها تُبتلع كل حكمتنا ورجائنا فنستند عليه بالتمام مثل عروس النشيد التى يذكر عنها «مَنْ هذه الطالعة من البريَّة مستندة على حبيبها؟» (نش ٨:٥) فالبرية مكان التدريب والامتحان لكن لنا فيها معونته (٢كو١٢: ٩).

وأسعى ضعيفًا وأستند عليك
حتى كل المجد يرجعُ لكَ

٥- **التمتع العملي بمحبة المؤمنين:** أحيانًا تظل المحبة في

قلوب إخوتنا، لا نشعر بها أو غير مُعبَّر عنها للدرجة التي فيها أحيانًا نشك فيها، إلى أن نجتاز فى مواقف صعبة، وإذ بنا نرى المشاعر الفيَّاضة والمحبة العملية المُضحية المُتسمة بالعطاء والمُشاركة الإيجابية الفعالة، مشاركة عملية حبية وليست مشاركة الواجب «فان كان عضوٌ واحدٌ يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه ...» (١كو١٢: ٢٦). وكم كانت ولا زالت محبة المؤمنين مُسكِّنًا ومُخففًا لأتعاب الكثيرين، بل ومن خلالها يُقدِّم الرب التعويض الإلهي للنفس المُجرَّبة، وهي نعمة تستحق أن نشكر الرب لأجلها. فذُكِرَ عن بولس وهو في رحلته لروما «ومن هناك لما سمع الإخوة بخبرنا، خرجوا لاستقبالنا إلى فُورُن أَبِّيوسَ والثلاثة الحوانيت. فلما رآهم بولس شكر الله وتشجَّع» (أع ٢٨: ١٥).

٦- **تدريب على أن الرب مصدر الأفراح الوحيد:** في عمق احتياجه قال الرب يسوع: «مكتوبٌ: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله» (مت٤: ٤). والرب في حكمته يسمح لنا بالألم لنختبر عمليًا أنه مصدر الأفراح. فقد نظن خطأ أن مصدر

الأفراح يمكن أن يكون فى شئ نمتلكه، أو فى صحة أو فى مال وخلافه من أمور أرضية زائلة فيسمح لنا الرب بالحرمان من أحدها أو بعضها، ونختبر عمليًا أن هناك الكثير من الأمور التي كنا نظنها أساسية ولا غنى عنها، لم تكن كذلك، ونختبر اختبار السماويات، حيث لن تكون لنا الينابيع الأرضية للفرح ومع ذلك سنفرح أفراحًا مجيدة، ومن خلال التجارب يريدنا الرب أن نختبر أنه المصدر الوحيد دون سواه للفرح أي نختبر جو السماء.

٧- **اكتساب خبرة روحية تفيد في الخدمة:** «.. الذي يُعزِّينا في كل ضيقتنا، حتى نستطيع أن نُعزِّي الذين هم في كل ضيقةٍ بالتعزية التي نتعزَّى نحن بها من الله» (٢كو١:٤). قد نظن خطأ أن الألم ضد الخدمة، ولو خلت حياتنا من الصعوبات لكَان ركضنا أسرع، وإذ بنا نكتشف خطأ فكرنا عندما نجد أن التجارب تكسبنا خبرة روحية فنتكلَّم ونخدم خدمة عملية من واقع اختبارات لا من واقع محفوظات، قال أيوب للرب: «بسمع الأُذُن قد سمعت عنك، والآن رأتكَ عيني» (أي ٤٢:٥).

٨- **شهادة عن الله ومعاملاته:** أكثر الناس الشاكرين المُعترفين بالجميل ليس هم الذين ساروا في طريق مفروش بالورود كل حياتهم، ولكنهم أولئك الذين اجتازوا ظروفًا مؤلمة فاضطروا أن يلازموا بيوتهم أو فراشهم فتعلَّموا أن يتكلوا على الله، أما المتذمرون فهم أقل صحة ومتعة، ويوجد مَنْ يعظون من على منابر فراش مرضهم وهم فرحون مترنمون شاكرون مُعترفون بالجميل للرب.

٩- **الألم يعلِّم استجابة صلاة بكيفية لا نتوقعها:** هناك قصة واقعية تقول: صلَّى الجنود وقت الحرب طالبين ماء بعد أن نفذ كل مالديهم واذ بالأعداء يلقون بقنبلة على مقربة منهم، فصرخ أحدهم: يا رب نحن طلبنا ماء ترسل لنا قنبلة، وسرعان ما تنبهوا لعين الماء التي فجَّرتها القنبلة فشربوا وارتووا وشكروا، على هذا القياس، نحن نُصلِّي طالبين صبرًا فيرسل الله الضيق لأن «الضيق يُنشيء صبرًا» (رو ٥: ٣)، ونُصلِّي أن يمنحنا خضوعًا فيبعث الألم، نُصلِّي إلى الله كي يُعلِّمنا إنكار الذات فيعطينا الفرصة تلو الفرصة لذبح ذواتنا،

فننظر إلى ما هو لآخرين أيضًا (في٢: ٤). ونلج في الطلب من أجل نعمة الاتضاع، فيُرسل لنا ملاك الشيطان الذي يُضايقنا حتى نضع وجوهنا في التراب صارخين إليه لينقذنا (٢كو ١٢: ٧و٨). ونطلب إلى الله نُصره، فيأمر رياح التجارب أن تهب علينا لتكنس من قلوبنا محبة العالم «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: **إيماننا**» (١يو ٥: ٤). نروم شركة أعمق مع الرب يسوع فتتقسى قلوب الأقارب والأصدقاء الحميمين من جهتنا ليكون هو الملجأ والرفيق وحده (يو١٥: ٢٠). ونسأل من الله محبة أكبر تجاه المجتمع فنواجه أناس مُبغضين فنعيش عمليًا المحبة التي تتأنَّى وترفق، ولا تُقبِّح، ولا تحتدُّ، المحبة التي تحتمل وتُصدِّق، وترجو وتصبر على كل شيء، المحبة لا تسقط أبدًا (١كو١٣: ٤-٨).

١٠- **الألم غذاء الإيمان:** فإن كان الألم به يتزكَّى ويلمع الإيمان فإنه أيضًا يكون سببًا في التصاق قلوبنا أكثر بالرب واستنادنا عليه أكثر. فَصَدقَ مَنْ قال: ''إن الصعاب هي غذاء الإيمان''. فهي ليست كما نظن

خطأ أنها ضد الإيمان بل في صف الإيمان. ولعل شهادة الرب عن إيمان الكنعانية العظيم في رغم تجربتها الخاصة بابنتها التي بلا شك كانت قاسية جدًا على نفسها يؤكد لنا هذا ، كذلك الآلام تجعلنا نختبر مواعيد الله «خيرٌ لي أني تذلَّلتُ لكي أتعلَّم فرائضك» (مز ١١٩: ٧١).

١١- **نوال المكافأة:** هناك مكافأة عظيمة تنتظر الشخص الذي يحتمل التجربة. فالرب يُرسل التجارب لكي نحتملها، لا لكي نئن بسببها. فهناك وعد لمَنْ يحتمل التجربة «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تَزكَّى ينال إكليل الحياة الذي وَعَدَ به الرب للذين يحبونه» (يع ١: ١٢).

***

في التجارب تذكَّر أن:

١- الله هو الذي أدخلك في التجربة أو سمح لك بها.

٢- هناك معونات لك لأجل احتمال التجربة حيث يعطي مع التجربة المنفذ.

٣- عليك أن تتعلَّم الدروس التي يقصدها الله من وراء هذه التجارب.

٤- الله له وقت معيَّن سيُخرجك فيه من التجربة، بعد أن تكون قد وعيت الدرس، فلا تتعجَّل الأمور.

٣

ورقها لا يذبل

«وكان موسى ابن مئة وعشرين سنةً حين مات،
ولم تكلَّ عينه ولا ذهبت نضارتُهُ»
(تث ٣٤:٧).

رغم مُعاناة موسى من أثقال وهمــوم وأتعــاب وضــغوط ومُغريات كثيرة، الا أنها لم تترك لديه آثارًا نفسيَّة أو جراحًــا داخلية، بل كان دائمًا في نضارة حتى نهاية حياته «لــم تكــل عينيه ولا ذهبت نضارته» (تث٣٤: ٧).

لقد عاش موسى ١٢٠ سنة مقسمة على ثلاث مراحل اختبر فيها ظروفًا مختلفة:

- الأربعون سنة الأولى في قصر فرعون.
- ثم الأربعون سنة الثانية في أرض مديان.

- والأربعون سنة الأخيرة والتي كانت أصعبها، كان فيها قائدًا لشعب الرب في البريَّة وواجه فيها تذمرات الشعب وتصرفات عدم إيمانهم. ورغم ارتباطه بالكوشيَّة التي من الواضح أنها لم تكن في المستوى الروحي المناسب لرجل الله موسى، إلا أن كل هذا لم يؤثر على نضارته الروحية أبدًا.

تعرَّض لرفض الشعب عندما قالوا: «نُقيم رئيسًا ونرجع إلى مصر» (عد١٤:٤)، تعرَّض لتذمرهم وأنينهم في مواقف كثيرة. (خر١٦: ٢؛ عد١٤:٢)

تعرَّض لمقاومة قورح (عد١٦:١)، وتعرَّض لانتقاد مريم وهارون أخويه (عد١٢:١). تألم لفقد أحبائه في أيامه إذ ماتت مريم ومات هارون (عد٢٠:١ ؛٣٣: ٣٨)، وكانت في حياته طلبة لم تُمنح مع أنها كانت روحية (تث ٣: ٢٦) – وهي الخاصة بطلب دخوله الأرض – وأحيانًا الطلبات التي لا تُمنح لنا تجعل حياتنا مملوءة بالتذمر على الرب مع أن وراء ذلك حكمة إلهية، لكن موسى لم يكن كذلك.

لماذا؟ ؟

السبب كما تخبرنا كلمة الله يرجع إلى:

- «كان كشجرة مغروسة عند مجاري الميـــاه ... **فـــي ناموس الرب مسرته** وفي ناموسه يلهج نهارًا وليلاً ... وورقها لا يذبل» (مز ١).

كان موسى يسأل الرب دائما لمعرفة رأيه وفكره فـــي كل المعضلات التى تعرَّض لها أثناء قيادتـــه للـــشعب وعندما نفهم الكلمة التي هي أفكار الله تقل أو تنتهـــي الصراعات الداخلية التي غالبًا ما تكون لسبب الرغبات المتناقضة في داخلنا.

- **كان متكلاً على الرب ويلجأ اليه في كل المواقف حتى في أوقات الجفـــاف:** «مباركٌ الرجل الذي يتكل علـــى الرب، وكان الرب متكله، فانه يكون كشجرة مغروسة على مياه، وعلى نهر تمدُّ أصولها، ولا تَرى اذا جـــاء الحر، ويكون ورقها أخضر، وفـــي ســـنة القحـــط لا تخاف، ولا تكفُّ عن الإثمار» (إر ١٧:٧ و٨).

- **كان يقضي أوقاتًا طويلة مع الرب،** فمثلا مكـــث مـــع الرب مرتين، أربعين يومًا في كل مرة (خر٢٤: ١٨؛ ٣٤: ٢٨) وكان «يكلِّم الرب موسى وجهًا لوجه كمـــا يُكلِّم الرجل صاحبه» (خر٣٣:١١).

هذا لا شك كان يعطيه هيبة في أعين الشعب وحكمة وحنكة في قيادة الشعب. وفي كل مواجهات البريَّة.

يا ليت هذه الأمور تكون لنا كما كانت لموسى، فلا تتـــرك صعوبة الحياة آثارها علينا بل نجد في الرب موارد لا تنضب كافية لنحيا حياة الخصب والثمر لمجده.

***

٤

ظروف متشابهة
وردود أفعال متباينة

كثيرًا ما نشعر بالضعف، فنلقي باللوم على الظروف، وكل منا يرى أنه لو كان في ظروف أفضل لتغيرت حياته ولكانت خدمته أفضل، لكن هل فعلاً الظروف هي السبب في ضعفنا؟ وهل لو تغيرت الظروف، ستصير حياتنا للأفضل؟ الإجابة لا.

ربما لا تعجبك هذه الإجابة ولكنها الحقيقة، فهناك أناس آخرون في مثل ظروفنا لكنهم يعيشون حياة أروع وأفضل منا، وإليك بعض الأمثلة التي توضح أنه مع الظروف المتشابهة فإن ردود الأفعال مختلفة.

(١) **العشرة البُرص:** كلهم نالوا الشفاء من البرص لكن

واحدًا فقط هو الذي رجع يُمجِّد الله ويشكر دون الآخرين (لو ١٧: ١٣- ٢٠). ونحن مثلهم كثيرًا ما نفرح بالعطية وننسى المُعطي.

(٢) راعوث وعُرفة: الاثنتان من موآب، والاثنتان مات زوجاهما، وحماتهما واحدة وهي نُعمي، لكن ما أبعد الفرق بين حياة كل منهما، وهذا نراه في التصاق راعوث بنعمي وبإله إسرائيل، ورجوع عرفة إلى موآب وإلى آلهتها، وهكذا من الممكن أن لا يعوق شيء التصاقنا بالرب، حيث أن هناك مَنْ هم في ظروف أسوأ منا ولكنهم ملتصقون بالرب.

(٣) راحيل وحنَّة: (تك ٣٠؛ ١صم ١) الاثنتان لم تُنجبا مع الفارق أن ظروف حنة كانت أصعب حيث كانت ضرتها تغيظها لسبب المراغمة، لم هذا يحدث من ليئة أخت راحيل. لكن في احتياجهما طلبت حنة من **الرب** ابنًا وتعطيه له كل أيام حياته، وراحيل طلبت من **زوجها** ابنًا تغيظ به أختها. ما أبعد الفارق! ونحن في احتياجاتنا مِمَنْ نطلب؟ وما هي دوافعنا في الطلب؟

(٤) جدعون ويفتاح: (قض ٨: ١؛ ١٢: ١) كلاهما

تعرَّض لغَيْرة رجال أفرايم في وقت نجاحه وانتصاره على الأعداء، لكن جدعون تعامل مع الموقف بحكمة فربحهم، أما يفتاح فعاملهم بخشونة وكانت النتيجة مذبحة سقط فيها من أفرايم اثنان وأربعون ألفًا. ليتنا نتذكَّر أنه مهما حدث من ظروف توترت العلاقات بسببها مع الآخرين فهناك مَنْ يتعاملون بحكمة في ظروف مشابهة تمامًا ويعيشون في سلام.

(٥) **الرجل العاقل والرجل الجاهل:** في ختام موعظة الجبل (مت٧: ٢٥-٢٧). شبَّه الرب الذي يسمع الكلمة ويعمل بها برجل عاقل بنى بيته على الصخر، والذي يسمع الكلمة ولا يعمل بها برجل جاهل بنى بيته على الرمل. وعندما تعرَّض البيتان لظروف متشابهة من عواصف وأمطار سقط فقط البيت المبني على الرمل، **وكان سقوطه عظيمًا**. لقد سمع الشخصان نفس الكلام، لكن اختلف رد الفعل في تجاوبهما مع ما سمعاه. فواحد سمع خادعًا نفسه ولم يعمل بالكلمة، والآخر سمع عاملاً بالكلمة (يع١: ٢٢). ربما صاحب البيت الذي سقط بنى إيمانه على كلام الناس لا على مواعيد الله الصادقة أو على مشاعره المُتغيرة لا على الكلمة الثابتة.

فإذا كنت تتألم فإن هناك مَنْ يتألمون بنفس هذه الآلام (١بط ٥:٩) لكن لهم مواقف مُشرِّفة ومُمجِّدة للرب من احتمال للألم وصبر وشكر، فلنثق في حكمة الآب المُحب التي رتَّبت كل الظروف بإتقان، فلو رأى في حكمته ظروفًا أحسن أو حتى أردأ من ظروفنا تُمجِّد مقاصده فينا فلن يتردد لحظة في تغيير الأحوال، لكن ليس علينا الآن سوى أن نتكيّف مع كل ظروف يسمح بها الرب لنا ونشكره عليها ونعيش الحياة الفضلى التي قصدها لنا.

***

٥

كُفُّوا عن الإنسان

«كفوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة لأنه ماذا يُحسب»

(إش ٢:٢٢)

الإنسان بطبيعته ضعيف، والتحديات التي يواجهها تُجسِّم ضعفه أمام عينيه، ومهما سمت إمكانيات الإنسان من قوة طبيعية أو ذهنية أو مادية في وقت من الأوقات فإنه ضعيف ولا بد أن يواجه مواقف أو ظروف أكبر من إمكانياته الضعيفة، لكن للأسف أحياناً تكون ثقة الإنسان في أخيه الإنسان الضعيف ذو الإمكانيات الضعيفة مثله ثقة كاملة، ولهذا يوصي الكتاب: «كفُّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمةٌ، لأنه ماذا يُحسبُ».

وسنتناول بالإيجاز أسباب وجوب عدم الاتكال على البشر والالتجاء إليهم.

١- لأن الإنسان زائل.. يوسف (تك ٥٠):

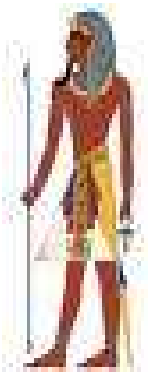

الإنسان له عمر محدود وإمكانيات وتُحيط به أسباب الموت من كل ناحية. والموت زائر يحصد الآلاف والملايين يوميًا من على وجه الأرض وبلا مقدمات، لهذا يجب أن لا نضع آمالنا في الإنسان.

يوسف مع أنه كان صادقًا يوم وَعَد إخوته بعد موت أبيهم بأسمَى الوعود «أنا أعولكم وأولادكم» (تك ٥٠: ٢١ و٢٦)؛ لقد بعث هذا الاطمئنان فيهم وأزال الخوف عنهم، وعزَّاهم وطيَّب قلوبهم، لكن نتعجَّب أنه لا ينتهي الأصحاح حتى نقرأ أن يوسف مات وحنَّطُوه ووضعوه في تابوت في مصر.

نعم نفَّذ وعده معهم لمدة ٤٤ سنة قبل موته لكنه في النهاية مات وتغيَّرت الأحوال معهم ومع أولادهم.

٢- لأنه ينسَى (تك ٤٠: ٢٣):

الإنسان سُمي إنساناً لأنه ينسَى، وقصة ساقي الملك مع يوسف **(تك٤٠: ٩-١٥، ٢٣)** توضح لنا ذلك، فبالرغم من أن يوسف كان سبب فرح وخير لهذا الشخص سواء في تفسيره لحلمه أو في مواقفه معه في السجن، فمن البديهي أن يكون يوسف هو موضوع حديث هذا الشخص بعد خروجه من السجن، لكن نتعجَّب إذ نسي الساقي يوسف ولم يذكره لدى فرعون كما طلب منه يوسف، مع أنه ساقي الملك وكان يقف أمام الملك دائمًا. هذا هو الإنسان. عندما ينسى ربما لأنانيته وانشغاله بأموره ومشاكله؛ إذ أن لها الأولوية عنده، وينسى أيضًا لمحدودية ذهنه وإدراكه.

٣- لأنه مُتغيِّر (تك ٣١):

الإنسان بطبيعته متغيِّر وقابل للتغيير وهذه صفة يتميَّز بها. مثال لذلك **لابان (تك ٣١: ٢)**، فبعد أن قضى يعقوب معه ٢٠ عامًا تزوج خلالها ابنتيه ليئة وراحيل، وعامله لابان كابن له، ورعَى يعقوب غنمه وخدمه كثيرًا بل وربح لابان من ورائـــه كثيرًا، لكن عندما كثر مال يعقوب جدًا، سبَّب هذا غَيْرة أولاد لابان من يعقوب، فتغيَّر لابان من ناحيته. فرأى يعقـــوب أن

«وجه لابان وإذا هو ليس معه كأمس وأول من أمس» ونتيجة التغيُّر في المعاملة فكَّر يعقوب في ترك لابان (تك ٣١: ١).

٤- لأنه محدود في قدرته:

فهناك الكثير من الاحتياجات التي ليس في قدرة الإنسان سدادها، وهناك الكثير من المشاكل التي يقف أمامها الإنسان عاجزًا، وموقف يعقوب من راحيل **(تك ٣٠: ٢)** يوضح ذلك عندما قالت له: «هَبْ لي بنين، وإلا فأنا أموت!»، فكان رد يعقوب «أ لعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن؟» (تك ٣٠: ٢)، ومثله أيضًا ملك إسرائيل الذى مزَّق ثيابه لما أرسل إليه ملك أرام، نُعمان الأبرص ليشفيه من برصه (٢مل٥)، وأيضًا الملك الذي صرخت إليه امرأة في المجاعة «خلِّص يا سيِّدي الملك» فقال الملك: «من أين أُخلِّصك؟ أ من البيدر أم من المعصرة؟» (٢مل ٦: ٢٦و٢٧).

٥- **لأنه يُخزي مَنْ يتكل عليه:** في قصة يعقوب نرى كيف أحبت ليئة يعقوب وتوقعت أنه بولادة الأولاد سيُحبها زوجها؛ وإذ به لا يحبها. وهذا واضح من أسماء الأولاد حيث دعت الأول: رأوبين؛ أي الله رأى مذلَّتي. والثاني: شمعون؛

أي الرب قد سمع أني مكروهة. والثالث: لاوي قائلة: «هـذه المرة يقترن بي رجلي»، لكن حتى بولادة الولـد الثالـث لـم يُقدِّرها زوجها (تك ٢٩: ٣١- ٣٥). لذلك دعت الولد الرابع: يهوذا قائلة: «هذه المرة أحمد الرب».

٦- الإنسان يُعطي لأجل المصالح والأهداف:

أعطى يعقوب لعيسو خبزًا وطبيخ عدس مقابل البكوريـة (تك٢٥: ٣٠-٣٤) وعند رجوعه أرسل هدية كبيرة لعيسو (تك ١٣:٣٢ و١٤) خوفًا من بطشه.

وبعد هذه الأسباب لنرفع أعيننا من على الإنسان إلى الله:

- ✓ فهو لا ينسى «هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابـن بطنها؟ حتى هؤلاء ينـسين، وأنـا لا أنـساك» (إش ١٥:٤٩).
- ✓ وهو الذي لا يتغيَّر «يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد» (عب ٨:١٣).
- ✓ وهو غير زائل «الإله الحكيم الوحيد مُخلِّصنا، له المجد والعظمة والقوة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل دهر الدهور» (يه ١: ٢٥).

- ✓ وهو غير محدود القدرة «هل تقصر يد الرب؟» (عدد ١١: ٢٣).
- ✓ و«الذي لا يخزَى منتظروه» (إش ٤٩: ٢٣).
- ✓ و«الذي يُعطي الجميع بسخاءٍ ولا يُعيِّر» (يع ١: ٥).

***

٦

معونتي من عند الرب

ما أكثر الأمثلة على أمانة الرب وكفايته لنا، وعدم تركنا في ظروفنا. في الحقيقة لا يوجد مؤمن واحد يستثنى من هذا الأمر فالرب للكل ومعوناته أيضًا للكل وتكفي الكل. ويكفي القارئ العزيز أن يتخذ نفسه مثالا ليسترجع أمانة الرب معه ومعوناته وتعضيده له في ظروفة المختلفة. فإن كان الأخ للشدة يولد (أم١٧: ١٧) فهو المُحب الألزق من الأخ (أم١٨: ٢٤). ولو أنصفنا لأخذنا كل القدِّيسين المُعاصرين والقدماء كأمثلة ولكن لضيق المساحة سوف نكتفي بمثال واحد:

في وقت الضيقات والتجارب التي عانى فيها داود لم يتركه

الرب دون معونات فهو يجعل مع التجربة المنفذ (١كو١٠: ١٣)، فاستخدم بعض الأشخاص الذين كانوا سبب بركة وتشجيع له لاحتمال الألم مثل:

١- **صموئيل:** (١صم ١٨:١٩): كان داود يحكي له عن ضيقاته، وباعتباره رجل الصلاة كان يرفعه في الصلاة.

٢- **يوناثان:** كان مُحبًا لداود إذ أحبه كنفسه (١صم١٨: ١) ومُخلصًا له حتى أنه تمنى أن يكون داود في العرش وهو ثانٍ له، وكان ينقل لداود المخاطر التي يُدبرها له شاول ويتكلَّم حسنًا عن داود أمام أبيه، فكان مُحبًا وفيًا لداود، قال عنه داود في وقت لاحق: «محبتك لي أعجب من محبة النساء» (٢صم١: ٢٦).

٣- **الأربعمئة رجل الذين اجتمعوا إليه:** «واجتمع إليه (في مغارة عدُلام) كل رجل متضايقٍ، وكل مَنْ كان عليه دينٌ، وكل رجلٍ مُرِّ النفس، فكان عليهم رئيسًا. وكان معه نحو أربع مئة رجل» (١صم ٢:٢٢)، ووجد داود فيهم تعويضًا إلهيًا في ولائهم وحبهم الذي لا حد له.

٤- **ميكال ابنة شاول:** أحبَّته وكانت سبب نجاة لداود في إحدى محاولات شاول لقتله (١صم ١٨: ٢٠؛ ١٩: ١٨).

٥- **أبيجايل:** امرأة جيدة الفهم، عالجت تأثير كلام زوجها الأحمق، وبكلماتها الحكيمة شجعت داود في ضيقه ومنعته من أن يسفك دماء وينتقم لنفسه وقد امتدحها داود وشكر الرب الذى أرسلها إليه، وقد صارت زوجة لداود بعد موت رجلها (١صم ٢٥).

إن كنا نرى أن الرب يسمح بوجود هذه الدعامات لداود حتى يحتمل التجارب ولا يخور، لكن في أوقات أخرى يرفع هذه الدعامات حتى تظل العين مثبتة عليه وحده. إنه الرب الحكيم.

فلقد مات صموئيل وشارك داود في دفنه (١صم ٢٥: ١)، ومات أخيمالك بيد دواغ الأدومي (١صم ٢٢: ١٨)، ومات يوناثان مقتولاً على جبل جلبوع (١صم ٣١: ٨)، والأربعمائة رجل أصبحوا ستمائة لكن في موقف صعب مر به داود تحولوا ضده وقالوا برجمه (١صم ٣٠: ٦)، وميكال ذات مرة احتقرته في قلبها عندما رأته يرقص أمام تابوت الرب (٢صم ٦: ١٦)، وزوَّجها أبيها لغيره (١صم٢٥: ٤٤). وأبيجايل أُخذت منه مرة

عندما سُبيت مع كل مَنْ كان له في صقلغ (١صم ٣٠: ٥).

ففي كل الأحوال يجب أن نتعلَّم هذا الدرس:

إذا أعطانا الله مشجعات نقبلها من يده، وإن أخذها لا نفشل بل نرفع أعيننا إليه إذ لنا فيه كل الكفاية.

* * *

٧

يُعين المُجرَّبين

الرب في الأقداس كرئيس الكهنة يخدم ويُسند ويُعضِّد المؤمنين في تجاربهم، ولولا قيام الرب بهذه الخدمة لن يثبت مؤمن في أقل تجربة، بالإضافة لحفظة لمقام المؤمن ومركزه أثناء التجربة، فالتأوهات والأنَّات والاعتراضات أثناء التجربة كافية في حد ذاتها لتعطيل شركة المؤمن مع الرب، لكنه يرثى للمؤمن ويرفعه، فيظل المؤمن مرفوعًا وفي شركة مع الرب أثناء التجربة. وتتلخص خدمته كرئيس كهنة للمؤمنين المجربين في أنه: **يرثي، يُعين، يخلص.**

أولاً، الرثاء:

هو إحساس الرب بالمؤمن وإشفاقه عليه في التجربة

والتماسه له العذر عندما يظهر ضعفه وهشاشته وضعف إنائه الخزفي، فلا يلومه أو يوبِّخه أو ينتهره فهو الوحيد الذي يزن التجربة عالمًا مدى ثقلها على المؤمن.

الرثاء يعني أيضًا أن الرب أثناء التجربة يكون قريبًا منا جدًا عن أي شخص آخر، أقرب من الأخ والأب، والأم وحتى من شريك الحياة فهو يشعر بما يعتمل في نفوسنا وفي ذات الوقت يغمرنا بمحبته وحنانه.

ثانيًا، يُعين:

«لأنه في ما هو قد تألم مُجَرَّبًا يقدر أن يُعين المُجَرَّبين» (عب ٢:١٨). وكون الرب يُعين المؤمن أثناء التجربة فهو يخفِّف آلامه ويشدِّده داخليًا ويعطيه طاقة لكي يستطيع أن يحتمل التجربة، ويعطيه منفذًا أثناء التجربة، لكن هذا لا يعني الإعفاء من التجربة بل خروجه منها بسلام، فقد تكون مشيئة الرب من جهة المؤمن أن يبقى بعض الوقت في البوتقة لحكمة إلهية وبركة حقيقية يقصدها الرب من وراء التجربة، وقد يُرسل الرب المعونة في أثناء التجربة من خلال المؤمنين عندما يكتنفوننا.

(تطبيق: داود أثناء رحلة آلامه كان هناك مُعضِّدُون له)، وقد تأتي من خلال الشَّركة مع المؤمنين الذين نعبد معهم أو أى من المنافذ الأخرى الكثيرة.

ثالثًا، يُخلِّص:

«فمن ثم يقدر أن يُخلِّص أيضًا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧:٢٥)، فالرب ليس فقط له قلب يرثي، بل ذراع تُخلِّص فهو الحنون وهو القدير في ذات الوقت، ودائمًا مشاعر قلبه تسبق قوة ذراعه فعندما أشبع الجموع تحنَّن ثم أشبعهم، ونجده يبكي على مع مريم ومرثا عند قبر لعازر قبل أن يُقيمه بكلمة، فلم تكن دموعه دموع العجز كدموعنا بل دموع العواطف والحب والمشاركة.

وهو في هذا يختلف عن البشر، فهم مُعزُّون مُتعبون كلهم كما قال أيوب عن أصحابه (أي١٦: ٢). وقد يشاركوننا بعواطف صادقة وهذه وإن كانت تخفف عنا كثيرًا لكنها لا تغيِّر من واقع التجربة، لكن لنا في الرب وحده محبة قلبه وقوة ذراعه ولا يوجد ظروف مهما صَعبت لن تصل لنا فيها يد القدير حتى ولو وصلت للموت، لأن له في الموت مخارج (مز٦٨: ٢٠)، وهذا ما شهد به أيوب بعد تجربته: «قد علمت أنك تستطيع كل شيءٍ، ولا يعسر عليك أمرٌ» (أي ٤٢:٢).

فالتجارب تُفسح لنا المجال لنختبر الرب في كفايته وقدرته وصفاته المتنوعة في وسط الظروف، ومن جهة أخري نختبر محبته، وحنانه، وقربه، وشفقته. إننا نتذوق محبة قلبه ونختبر قدرة ذراعه.

كم نحن مدينون في مشاهد آلامنا لهذا الشخص الذي لا يدعنا نسير بمفردنا بل يرافقنا فيها.

***

٨

يُنصفهم سريعًا

كم يكون هذا باعثًا للتعزية عندما يُذكِّر المؤمن المُجرَّب نفسه وهو في عمق التجربة أو البلوى المُحْرِقَة أو المرض المُـذل أن الرب هو الذي سمح له بهذا! وبذاته يُشرف على آلامه؛ إذ يُدربه من خلالها ليتمِّم قصده من ورائها، وأن هناك معونات للمـؤمن حتى يستطيع أن يحتمل إذ «سيجعل مع التجربة أيـضًا المنفـذ، لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠: ١٣). لكن الـشيء الأكثـر تعزية هو أن المؤمن المُجرَّب لن يبقى في بوتقـة الآلام حتـى المنتهى، بل أن هناك وقتًا فيه ستمتد يد القـدير لتُخرجـه مـن التجربة مهما كان عمقها، وسيتم هذا فقط عندما يتم قصد الـرب من وراء التجربة، وحسنًا عبّر المُرنِّم عن هذا بقوله:

فالضيقة إذًا محدودة فهي لها بداية ويقينًا لها نهاية. ونستطيع أن نتعلَّم هذا مما قاله الروح لملاك كنيسة سميرنا: «ويكون لكـــم ضيقٌ عشرة أيامٍ» (رؤ ٢: ١٠)، ففترة الضيقة محدودة فهي لهـــا نهاية كما أن لها بداية.

لو أدركنا القليل عن مشاعر الرب تجـــاه المـــؤمن المتـــألم، ستزول من داخلنا كل مرارة واعتراض على معاملات الـــرب، فالرب لا يُذِّل المؤمن من قلبه (مـــرا ٣: ٣٣)، وتـــضيق نفـــسه لسبب مشقة المؤمن (قض١٠: ١٦)، لكنه -إن جاز هذا التعبير- يضطر الرب أن يتعامل معنا بلغة الآلام لبركتنا ولخيرنا ولإتمام قصده في حياتنا.

ويوسف واحد من الشخصيات التي تدرَّبت بالآلام في مدرسة الله، وكانت المرحلة الأخيرة في الـــسجن وهـــي مـــن أصـــعب المراحل، حيث نسي هناك الأحلام التي سبق وأعلنها له الـــرب، ونسي الأمجاد حيث مرارة السجن الذي دخل فيه ظلمًـــا وكانـــت شديدة على نفسه «في الحديد دخلت نفـــسه» (مـــز ١٠٥: ١٨)، والذي زاد من نيران التجربة أنه لم يكن هناك أي أمـــل واضـــح للخروج من هذا المكان، حيث نجده في ضعف طلب من رئـــيس

السقاة أن يذكره أمام فرعون وقدم له حيثيات الخروج؛ لكنه قد نسيه عندما خرج. فكان يوسف يحتاج أن يتعلَّم أن الله له توقيت.

وساعته ليس فيها تأخير كما ظنت مرثا ومريم عندما قالتا للرب: «لو كنت ههنا لم يمت أخي».

وساعته أيضًا ليست فيها تقديم مثلما قال الشيطان للرب: «أ جئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟» (مت ٨: ٢٩).

فساعة الله دقيقة جدًا، وعندما كمل القصد من الآلام، حرَّك الرب قلب الملك الذي في يده كجداول مياه حيثما شاء يميله (أم ٢١: ١) «فأسرعوا به من السجن».(تك٤١: ١٤)

ذكر الرب في مَثَل الأرملة وقاضي الظلم أن هذه الأرملة مع أنها طلبت كثيرًا الإنصاف من خصمها، لكنها أخيرًا أُنصفت. وعلَّق الرب على هذا المثل وقال: «أ فلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهِّلٌ عليهم. أقول لكم: إنه يُنصفهم سريعًا!» (لو ١٨: ٨).

قد نظن أنه تأخَّر، لكن لو بقينا في التجربة يومًا أو أيامًا أو

حتى شهورًا أو سنوات، فإنه حينما يكمُل قصد القدير مـــن وراء التجربة، لن نبقى فيها دقيقة أخرى بل حتمًا سنخرج منها سريعًا.

***

٩

المثال الكامل

كما يتصاعد البخور العَطِر من اللبان عندما تشتعل فيه النيران، هكذا كان سيِّدنا المعبود في حياته على الأرض كلما اشتعلت فيه نيران التجارب كلما ظهرت أمجاده المتنوعة، كما قال المُرنِّم:

وكل آلامك في أعماقها تجيب عن أمجادك التي سمت

وسنتأمل في بعض المواقف من حياة الرب التي تألم فيها من أشخاص تعامل معهم، ومن مدن خدم فيها، وما أروع ردود أفعاله في كل المواقف! ليتنا نتمثَّل به.

(١) موقف يوحنا المعمدان من الرب: (لو٧: ١٨- ٣٠).

يوحنا الذى شهد عن الرب وقال عنه يومًا، وما أجمل ما قال

«هوذا حَمَلُ الله الذى يرفع خطية العالم» (يو١: ٢٩ – اقرأ من فضلك الأصحاح كله). سُجن يوحنا المعمدان على يد هيرودس، وطالت أيام السجن الصعبة، ومع أنه سبق وشهد عن الرب أنه الآتي (يو١: ٢٧)، إلا أنه في سجنه وظروفه القاسية شك، فأرسل اثنين من تلاميذه ليسأل الرب: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟» (لو٧: ١٩)، لقد كان من الصعب علي يوحنا أن يبقى في السجن والرب موجود، ربما كان يتوقع أن يتدخل الرب حتى ولو بمعجزة ليُخلِّص هذا السفير الأمين الذي سبق وهيأ الطريق أمامه. والذي زاد من آلام الرب في هذا الموقف، أن تلاميذ المعمدان أتوا وأبلغوا الرب بهذه الرسالة المملوءة بالعتاب أمام الجمع. لكن ما أروع رد سيدنا المعبود! لقد أرسل معهما رسالة للمعمدان تُعيد من جديد الثقة في قلبه، وهي أن الرب يُطهِّر البرص ويفتح أعين العُميان ... أي أنه يستطيع كل شيء، لكنه كان يتحرك وفق مشيئة الآب. وبعد أن مضى تلميذا المعمدان بهذا الرد، قال للجموع الواقفين أمامه أروع كلمات مدح عن المعمدان إنه ليس قصبة تحركها الريح؛ بمعنى لا تظنوا أنه اهتز، وأيضًا أنه لا يلبس ثياب الملوك الناعمة التي لا تجعله يحتمل صعوبة السجن بل إنه رجل البريَّة، وأضاف إنه أعظم المولودين من النساء (لو٧: ٢٨). وكأن الرب بهذا

الكلام أراد أن يجعل صورة المعمدان غير مهزوزة في أذهان الحاضرين وكان يهمه كثيرًا عدم اهتزاز صورة عبده العاثر في أذهان الحاضرين أكثر من اهتمامه بتصحيح شك ليس في محله لكن في نفس الوقت عالج شك يوحنا بأن وضعه أمام المكتوب.

(٢) موقف إنكار بطرس للرب: (لو٢٢: ٥٤- ٦٢) بطرس وهو واحد من التلاميذ المُقرَّبين للرب، وكان مقدام التلاميذ في الكلام وفي الشجاعة، ولقد وثق بطرس في محبته للرب، لقد كان صادقًا في التعبير عن حبه للرب يوم قال: «إن شكَّ فيك الجميع فأنا لا أشك» ولكنه كان يجهل نفسه على حقيقتها. هذا البطل أُخذ في زلَّة، يوم أن دخل مجال التجربة، وإذ به في وسط الجواري والعبيد - ليلة محاكمة الرب - ينكر بحلف وبلعن: «أنا لا أعرف ذلك الرجل».

وربما أن الرب تألم من إنكار بطرس، ربما أكثر من كل الآلام المتوقعة من الأشرار والقساة في تلك الليلة، كيف لا وهو الذى عاين مع آخرين عظمته في الجبل المقدَّس، فكان إنكار بطرس جُرحًا من الجروح الداخلية التي جُرح بها الرب في بيت أحبائه، ورغم سماعه لكل كلمة قالها بطرس، إلا أنه أراد ألا يكون بطرس في موقف ضعف جديد بكشف كذبه أمام الحاضرين، فاكتفى بنظرة إلى تلميذه المحبوب، لم تكن نظرة

عتاب بقدر ما كانت نظرة محبة وشفقة لدرجة أنها أذابت قلــب بطرس فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مرًا.

(٣) موقف خيانة يهوذا: (مت٢٦: ٤٧- ٥٠) لا شك أن موقف خيانة يهوذا من أصعب المواقف على الرب، لدرجة أنه اضطرب بالروح يوم أعلن لتلاميذه أن واحدًا منهم سيُسلمه، وعندما سُئل: «مَنْ هو يا سيِّد الذي سيُسلمك؟» رد الرب: «الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيها له هو الذي سيُسلمني» (يو١٣: ٢٦)،. العجيب أن الرب كان قد سبق وغسل رجليه وهنا يعطيه اللقمة بيده رمزًا للمحبة وكأنه يعطيه فرصة للتوبة! وخرج يهوذا وكان ليلاً ولم يتأثر بتعبير الرب عن محبته له، وذهب ليُحضر الكهنة والعسكر ليُسلِّمه لهم، وكانت العلامة هي قُبلة يهوذا للرب «الذي أُقبِّله هو هو، أمسكوه». القُبلة التي هي تعبير عن المحبة، استخدمها يهوذا كتعبير عن الخيانة، ومع علم الرب – باعتباره كُلي العلم – ما وراء هذه القبلة إلا أننا نُفاجأ بقول الرب له: «يا صاحب لماذا جئت؟» لم يقل له: يا خائن لماذا جئت، مع أنه يستحق ذلك القول، لكن هذه هي محبة السيِّد التي تحتمل كل شيء.

(٤) الناصرة التي طردته: في لوقا ٤: ١٦- ٣٠ يقول الكتاب إنه جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى (مت٢: ٢٣)، فمع أن

الناصرة كانت مُحتقرة، لكن الرب –تبارك اسمه– قَبِلَ أن يعيش فيها أغلب سني حياته على الأرض، وبعد أن ابتدأ خدمته الجهارية كان للناصرة نصيب في خدمته التجوالية كباقي المدن، وذات يوم دخل المجمع وتكلَّم بأروع الكلمات، وعندما أوضح لهم أن للأُمم نصيبًا في الخلاص، وسيصل الخلاص إليهم مثلما وصل لأرملة صرفة صيدا، وأنهم سيسيرون لاقتفاء الخلاص مثلما سار إليه نُعمان السرياني، عندما قال الرب لهم هذا أخذوه على الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه لأسفل. **وما كان أروع رد فعل الرب عليهم! فمع أنه تألم من رفضهم له، لكنه لم يهدِّد** بل اجتاز من وسطهم ومضى هكذا.

(٥) السامرة التي رفضت قبوله: (لو٩: ٥١– ٥٦) رغم أن للرب مواقف مُبارَكة مع هذه المدينة، ورغم نظرة اليهود المتدنية للسامريين قَبِل الرب أن يسير مسافة طويلة على قدميه لكي يتقابل مع المرأة السامرية التي رأى من خلالها أنها مفتاح للمدينة، وعن طريق كرازتها لهم طلبوا من الرب أن يمكث عندهم فمكث عندهم يومين والنتيجة أن كثيرين آمنوا به (يو٤: ١–٤١).

لكننا نتعجَّب عندما نقرأ أنهم قبل ذهاب الرب لأورشليم قبيل الصليب مباشرة لم يقبلوه (لو٩: ٥٣)، ولقد أثار هذا

الأمر حفيظة التلاميذ حتى أن تلميذين منهم وهما يعقوب ويوحنا ابنا زبدي أرادا استئذان الرب في أن يطلبا أن تنزل نار من السماء وتفنيهم كنوع من التشفي منهم، ولكي يقبل الرب هذا الاقتراح منهما ذكرا له مثالا كتابيًا على أن إيليا فعل هذا في موقف مُماثل. لكن ما أروع رد سيِّدنا المعبود عندما انتهرهما موضحًا أن روح التشفي والإهلاك ليست له؛ لأنه أتى لا ليهلك أنفس الناس بل ليُخلِّص!

(٦) أورشليم التي خططت لقتله: أورشليم هي مدينة الملك العظيم، وكم من المرات أرسل إليها الرب أنبياء ومرسلين، لكنها إمعانًا في رفض صوت الرب لها قتلت الأنبياء ورجمت المُرسلين واختتمت جرائمها بالتخطيط لقتل الرب نفسه. لكننا نتعجَّب من محبة الرب لها إذ يذكر الكتاب أنه «فيما هو يقترب من المدينة نظر إليها وبكى عليها» (لو١٩: ٤١)، وكلمة بكى تأتي بمعنى أجهش في البكاء، بكى حزنًا عليها وعلى مستقبلها لا على ما سيصدر منها تجاهه، بكى عليها وهو خارجها في الوقت الذي كان رؤساؤها في داخلها يخطِّطون لقتله، والرب باعتباره كُلّي العلم كان يعلم ما يجري ضده من مواقف ومؤامرات بما فيها هذا الموقف، وهذا كان يزيد من ألم الرب، وهو في هذا يختلف عنا كثيرًا حيث أننا نتألم من المواقف التي تظهر أمامنا

فقط، أما تلك التي لا نعلم عنها شيئًا، وهي ضدنا لا نتألم منهـــا، لكن الرب –تبارك اسمه– كان يتألم لأنه عالم حتـــى بالأفكـــار والدوافع مما يُجري ضده.

هل لو تعرضنا لآلام، ستصدر منا رائحة الـــدخان أم رائحـــة اللبان العطرة هذه التى نشم رائحتها في سيِّدنا المعبود. في كـــل مواقف آلامه ظهرت أمجاده المتنوعة؟

*

عند التجربة هناك ثلاثة أمور يستخدمها الله:

الترمومتر: إذ أن الرب لن يسمح لنيران التجربة أن تحرق المؤمن فإنه يقيس باستمرار درجة حرارة التجربة. «لم تصبكم تجربة إلا بشريَّةٌ (في حدود طاقة البشر). ولكن الله أمينٌ، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضًا المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو١٠: ١٣).

التايمر: فالرب له توقيته المناسب الذى سيُخرج فيه عبده من التجربة.

الترموستات: للتلطيف أثناء التجربة، فكمسكِّن للألم يستخدم الرب زيارات المؤمنين وكذلك المعونات والمنافذ المتعددة للتخفيف من حدة التجربة، مثل أُنيسيفورس الذي سبب راحة للرسول بولس.

(أ) الله يحفر آبار السعادة بفأس الألم

في داخل حظيرة للخراف جلس أحد الرعاة يداعب إحدى نعاج القطيع وقد أسندت رأسها على ساقه، ونظرت نحوه في ود وحنان، وكان واضحًا أن هذه النعجة الوديعة كانت مكسورة الساق، وهى تقاسي من جراء ذلك بعض الألم، وكان واضحًا أيضًا أن الراعي يحب هذه النعجة كثيرًا، ويعتني بها عناية فائقة، لكن الشيء الذي لا يعرفه الشخص الغريب هو أن هذه الساق لم تكسر في حادث، أو نتيجة إصابة خاطئة، بل إن الراعي نفسه هو الذي كسر ساق نعجته عمدًا ومع سبق الإصرار!

يقول الراعي: كانت هذه النعجة شرودًا جامحة دون باقي الخراف! لم تكن تطيع لي أمرًا، أو تسمع لي صوتًا، أو تقبل مني

تحذيرًا! إنها نموذج للعصيان والتمرد! فبينما أسير بالقطيع في طريق آمنة إذ بهذه النعجة تجري في استهتار نحو مسالك منحدرة، ومهاو زلقة، وهي إذ تعرض حياتها للهلاك فإنها أيضًا تضلِّل معها النعاج التي تمشي خلفها، وتتأثر بها!

ولم يكن أمامي إلا أن أهوي على ساقها بعصاي حتى أعوق اندفاعها، وأرغمها على التريث والتروي، وفي ذلك اليوم الذي كسرت فيه ساقها، قربتها إليَّ، وقدمت لها طعامًا خاصًا، وسهرت على علاجها وراحتها.

وها هي الآن تعرف صوتي وتتابع حركتي، وتصحو على وقع قدميّ، وعندما تُشفي تمامًا ستكون قد تدربت كثيرًا واختبرت محبتي وستصبح قائدة للقطيع؛ فهي الآن أكثر الأغنام طاعة وحبًا وتمسكًا بي.

إن الله يضربنا أحيانًا بالمرض أو بألوان مختلفة من الآلام؛ حتى يخضعنا له، فتتعلَّق به أنظارنا، ونسمع صوته ونعرفه.

إنه يضربنا حين يرى أننا نجمح بعيدًا عن شاطئ الأمان، ونندفع نحو حتفنا دون أن ندري.

وفي النهاية سندرك أن هذا كله كان لأجل لخيرنا.

(ب) صورته فيك

في اجتماع أخوات لدراسة الكتاب المقدس، اجتمعت بعض السيدات لدراسة سفر ملاخي، وعندما وصلن إلى الآية الثالثة في الأصحاح الثالث «فيجلس مُمحِّصًا ومُنقِّيًا للفضة»، تأملن ماذا يمكنهن أن يعرفن من تلك الآية عن صفات الله.

فتبرعت إحداهن أن تبحث في عملية تمحيص وتنقية الفضة وتوافيهن في الاجتماع القادم، فاتصلت بأحد صُنَّاع الفضة، وطلبت منه أن تراقبه وهو يعمل، ولم تذكر له سببًا سوى أنها تريد أن تعرف كيف ينقِّي الفضة. وبينما هي تراقبه، أخذ الصانع قطعة من الفضة ووضعها في وسط النار للتسخين، وشرح لها أنه يضع الفضة في المنطقة الأكثر سخونة في اللهب، وذلك ليحرق الشوائب.

وفكَّرت المرأة ... إن الله يضعنا أينما كان اللهب أكثر

سخونة. ثم تذكَّرت عبارة أنه «يجلس مُمحِّصًا ومُنقيًا للفضة». فسألت الصانع: ''هل حقيقي أنك لا بد أن تجلس أمام النار وأنت تنقِّي الفضة؟ فأجابها الصانع: ''ليس فقط أن أجلس مُمسكًا بالفضة بل يجب أن أراقبها أيضًا جيدًا طوال الوقت لأنها لو تُركت دقيقة أطول في النار تفسد.

سكتت المرأة برهة وسألته: ''وكيف تعرف أن الفضة قد صارت مُمحَّصة ومُنقَّاة تمامًا؟ فابتسم الصانع وقال: ''هذا سهل يا سيِّدتي ... عندما أرى **صورتي فيها**''.

إذا شعرت اليوم بحرارة النار ... تذكَّر أن الله لن تغيب عيناه عنك ولن يتركك دقيقة أطول ... إنه قريب منك ويراقبك باهتمام منتظرًا أن ينظر صورته فيك، فهل نعى الدرس؟

«إلى أن **يُتَصوَّر** المسيح فيكم» (غل٤: ١٩).

* * *

(ج) الكوخ المُحترق

تحطَّمت سفينة أثناء سفرها في عباب البحر ولم ينجُ إلا واحد من ركابها جَرَفته الأمواج وألقته على جزيرة صغيرة غير مأهولة بالسكان. ولما أفاق الرجل، وقد كان تقيًا يخاف الله، لم يجد وسيلة أمامه سوى الصلاة لله لكي ينقذه. وفي كل يوم كان يدور ببصره في عرض البحر لعلَّه يجد في الأُفق سفينة تأتي لتنقذه، ولكنه لم يجد شيئًا.

وإذ أُرهق من البحث والتعب، قرر أن يبني كوخًا صغيرًا من بقايا الخشب العائم بجانب الشاطئ ليأويه من أجواء الطبيعة، وليحفظ حاجياته القليلة التي بقيت معه.

لكنه ذات يوم، وبعد أن تجوَّل ليجمع من حوله ما يجده صالحًا ليقتات به، رجع إلى كوخه الصغير ليجده يشتعل بالنار، وقد التف الدخان صاعدًا إلى السماء.

وما أسوأ الكارثة التي حدثت، فقد ضاع كل شيء! وامتلأ الرجل بالحزن والغضب صارخًا:

''كيف تفعل بي هكذا، يا رب؟''.

ومن الحزن والتعب نام.

وباكرًا جدًا في اليوم التالي، استيقظ على صوت سفينة تمخر عباب البحر. فقام لتوِّه وشاهد سفينة تقترب من الجزيرة وكأنها آتية خصيصًا له! لا شك أنها أتت لتنقذه. وحالما وصلت، توجَّه الرجل المغموم نحو قائدها، وسأله:

''كيف عرفت أني أنا هنا؟''.

فرد عليه القبطان:

''لقد رأيتُ الدخان الذي أصعدته أنت عاليًا، وهذه علامة عندنا نحن البحارة بها نعرف أن شخصًا ما يطلب النجدة!''.

من السهل أن تثبط همَّتنا حين يُصيبنا مكروه، ولكن ينبغي ألا نيأس أو يخور قلبنا فينا، لأن الله هو مدبِّر حياتنا، حتى ونحن في عمق الألم والمعاناة.

تذكَّر في كل مرة يحترق بيتك، أي يضيع كل ما وضعت عليه

آمالك، أن الدخان الصاعد منه هو الذي يستدعي نعمة الله لتنقذك.

وحينما نتواجه مع البلايا والمحن ونتكلَّم مع أنفسنا بالسلبيات، يردُّ علينا الله بالإيجابيات:

- أنت تقول: مستحيل.
- ✓ والله يقول: «غير المستطاع عند الناس، مُستطاع عند الله» (لو ١٨: ٢٧).
- أنت تقول: لقد تعبت جدًا.
- ✓ والله يقول: «وأنا أُريحك» (مت ١١: ٢٨).
- أنت تقول: أنا أضعف من أن أُكمِّل.
- ✓ والله يقول: «تكفيك نعمتي» (٢كو ١٢: ٩).
- أنت تقول: لا يمكنني أن أُتمِّم هذا العمل.
- ✓ والله يقول: «بل تستطيع كل شيء في المسيح» (في ٤: ١٣).
- أنت تقول: لا أقدر.
- ✓ والله يقول: «أنا قادر» (٢كو ٩: ٨).

أنت تقول: كل هذا صار عليَّ.

✓ والله يقول: « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير» (رو ٨: ٢٨).

أنت تقول: أنا فاشل.

✓ والله يقول: «أنا لم أُعْطِك روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تي ١: ٧).

***

(د) أيهما أنت؟!

أجريت تجربة على عصفورين كالأتي:

حُبس كل منهما في قفص منفصل لمدة يوم، على أن يطلق سراحهما في المساء. وُضع كل منهما في قفص له نفس الشكل والمقاييس، فيه بعض الماء والطعام، وتُركا.

ظل أحد العصفورين يضرب بجناحيه بكل قوة، محاولاً كسر القفص، أو الخروج من بين القضبان. فسكب إناء الماء، وقلب الطعام.

وظل هكذا في ثورة عارمة. وكان كلما ارتفع، ارتطمت رأسه بالقفص وسقط. وظل على هذا المنوال ساعات.

وعندما جاء المساء وفتح باب قفصه، وُجد كسير الجناح، في حالة من الأعياء تقترب من الموت.

أما العصفور الأخر فحاول أيضًا أن يجد مخرجًا. ولما لم

يستطع، بدأ يشرب من الماء ويأكل الطعام. ويزقزق بنغمة شابها الحزن، لكن في هدوء.

ولما جاء المساء، فُتح له الباب. فانطلق مرفرفًا بجناحية، مزقزقًا نشيد الحرية.

أي العصفورين أنت. إذا سمح الله الحكيم المُحب، بأن توجد في قفص المرض أو التجربة أو الوحدة أو ...؟

هل تتذمَّر، وتحاول بكل جهدك أن تتخلَّص من الظروف على حساب أعصابك. غير واضع في اعتبارك قصد الله في حياتك؟

أم تتقبَّل بشكر. وتنتظر في صبر، تدخّل الله في ظروفك؟

ثق إنه في وقته يُسرع به. ويُخرجك من الضيق إلى رحب لا حصر فيه. رافعًا أجنحة كالنسور، مضيفًا إلى حصيلتك الروحية اختبارًا جديدًا

«أنا الرب في وقته، أسرع به»

(إش٦٠: ٢٢)

(من كتاب: كنوز القصص والحكايات ـ المجلد الرابع ـ ملاك لوقا)

(هـ) كيف تتكوَّن اللؤلؤة؟

المُحَّارة أو الصدفة بيت صغير يسكن داخله كائن بحري .. وكل كائن بحري له طريقته الخاصة في الدفاع عن نفسه، فعند دخول جسم غريب مثل الحبيبات الرملية الخشنة أو كائن دقيق، يتأذى هذا الحيوان الرخو من دخول هذا الكائن الغريب به، فيُدافع عن نفسه للوقاية من هذا الألم بأن يفرز طبقات من الأرجونايت تُعرف باسم عرق اللؤلؤ، يحيط بهذا الكائن الضئيل لكى يبطل تأثيره عليه، فيبدو أملسا وناعمًا ومائلاً للاستدارة فلا يؤلمه، وتكون اللؤلؤة على شكل كروي عندما لا تكون المادة المهيِّجة ملتصقة بالمُحَّارة، ويستمر الحيوان البحري بإفراز الطبقات اللؤلؤية فتتكوَّن اللؤلؤة التى يعتمد شكلها وجودتها على قدر قوة إفراز الحيوان، وبواسطة الإفرازات أيضًا يُصبح داخل المُحَّارة لامعًا أملس، وهذا السطح اللمَّاع هو الذي يساعد على تكون اللؤلؤة فيُعطيها الضوء اللازم.

وهذه اللؤلؤة التي تكوَّنت من تلك الطبقات المتراكمة تعكس بريقًا مُميَّزًا يُعْرَف باسم لؤلؤة الشرق، يزداد حجم اللؤلؤة بمقدار زيادة الألم التي يتعرَّض له المحَّار، ويزداد سعر اللؤلؤة بمقدار ازدياد حجمها.

وماذا عنا هل نحتمل الألم ونتكيف مع الصعوبات، فكل التجارب تؤول للخير حتى الظروف التي لا تروق لنا وحتى الصعبة والمؤلمة.

«ونحن نعلم أن كل الاشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوُّون حسب قصده»

(رو٨: ٢٨)

***

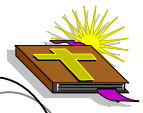

«فإذًا، الذين يتألمون بحسب مشيئة الله،
فليستودعوا أنفسهم، كما لخالقٍ أمينٍ،
في عمل الخير»
(١بط ٤:١٩).

«طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة،
لأنه إذا تزكَّى ينال إكليل الحياة الذي
وعد به الرب للذين يُحبونه»
(يع ١:١٢).

«خيرٌ لي أني تذلَّلت لكي أتعلَّم
فرائضك»
(مز١١٩: ٧١).